Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)
E-ISSN: 2959-6505
Volume 2, Issue 4, October - December 2024
Page No: 463-474
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2024: 5.028 ISI 2024: 0.580 معامل التأثير العربي (AIF) 2024: 0.74

أدب الطفل ودوره في بناء الهوية: رؤية عبد الوهاب المسيري كنموذج

ناجية الهادي قشوط [1*]، إيمان الهاشمي قرقي [2]
[1] قسم الفلسفة، كلية التربية ناصر، جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا
[2] قسم الفلسفة، جامعة سطيف، سطيف، الجزائر

Children's Literature and Its Role in Building Identity: Abdel Wahab El-Messiri's Vision as a Model

Nagia Al-Hadi Qashout [1*], Iman Al Hashemi Qarqi [2]
[1] Department of Philosophy, Nasser College of Education, Zawia University, Zawia, Libya
[2] Department of Philosophy, Setif University, Setif, Algeria

*Corresponding author	n.qashout@zu.edu.ly	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2024-12-23	تاريخ القبول: 2024-10-01	تاريخ الاستلام: 2024-09-10

ملخص:
الأطفال هم ركيزة المستقبل وأمل الوطن، ويحتاجون إلى التوجيه والإرشاد لبناء شخصياتهم وهوياتهم، وهو ما تسعى لتحقيقه القصص والصور الكرتونية. يرى المفكر عبد الوهاب المسيري أن لهذه الوسائل دورًا عميقًا في تكوين شخصية الطفل وهويته، حيث توجهه وفق مقاصد معرفية محددة تجعله فاعلاً ومتفاعلاً معها. يؤكد المسيري أهمية فن القصص للأطفال لما له من قدرة على تغيير الشخصية وتنميتها من خلال التحليل المعرفي والرؤية التوحيدية، مما يُتيح للطفل التنقل بين الواقع والخيال لبناء تجربة إنسانية متميزة. كما يدعو إلى تثوير الرموز الثقافية وإعادة إحيائها عبر اختيار شخصيات من التراث الأدبي والقصص القرآني لتعزيز الهوية الثقافية والقيم. وتتناول الدراسة ثلاثة محاور رئيسية: مقاصد الصور الكرتونية وأثرها على شخصية الطفل وهويته، دور فن القصص في المزج بين الواقع والخيال وتحديث النصوص الغائبة، وأهمية تفعيل مضامين القصة لإرشاد الطفل وإحياء الرموز الثقافية، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي لفهم تأثير هذه الوسائل على هوية الطفل وثقافته.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، الفن، الهويه، الصور الكارتونية، القصص.

Abstract
Children are the foundation of the future and the hope of the nation, requiring guidance and direction to shape their personalities and identities, which is precisely what stories and cartoons aim to achieve. The thinker Abdelwahab Elmessiri emphasizes the profound role these mediums play in shaping children's personalities and identities, as they guide them with specific cognitive purposes, making them active and engaged with their content. Elmessiri highlights the importance of storytelling for children due to its ability to transform and develop their personalities through cognitive analysis and a unified vision, enabling them to navigate between reality and imagination to build a distinctive human experience. He also calls for the revitalization and reactivation of

cultural symbols by selecting characters from literary heritage and Quranic stories to strengthen cultural identity and values. The study focuses on three main aspects: the objectives of cartoons and their impact on children's personalities and identities, the role of storytelling in blending reality and imagination while updating absent texts, and the importance of activating story content to guide children and revive cultural symbols, relying on a descriptive-analytical approach to understand the influence of these mediums on children's identities and cultures.

Keywords: Children's literature, Art, Its identity, Cartoons, Stories.

مقدمة:

يقال إن الأدب هو روح الإنسانية، إذ يعبر عن مكونات الشعوب في تتاليها التاريخي المفعم بالحيوية، ولما كانت وظيفة الأدب التعبير عن التجربة الوجدانية للإنسان. اتخذ المسيري موطن الإنسانية الأول، فكشف عن معالم الفعالية الإنسانية من خلال التجربة الرومانتيكية. فهو يرى أن هذه الأخيرة -الرومانتيكية- ليست طوباوية مفارقة للواقع، بل هي رؤية لقدرة الإنسان على التجاوز والتحليل والاستشراف. وتجدر الملاحظة أن الرومانتيكية هي السبب في انتقاله الفكري (رؤوف، 2004، صفحة 20). فدراسته للعديد من القصائد الرومانتيكية أظهرت له ما يعرف بالتتالي التاريخية، عن طريق منهجية الانتقال "من النموذج الجمالي الذي يؤكد استقلالية القصيدة، إلى النموذج التاريخي الذي يؤكد كونها جزء لا يتجزأ من عملية التتالي التاريخي" (رؤوف، 2004، صفحة 21).

وقد استفاد ذلك من منهج دراسة العمل الأدبي، من خلال الصورة، وهو منهج يفترض أن الصور التي يستخدمها أديب ما، تعبر عن الموضوع الأساسي الكامن في النص، أكثر مما يقره الأديب نفسه، بشكل صريح وواضح وواعي. لذا، يقوم الناقد الذي يستخدم هذا المنهج، بدراسة الصور المتناثرة في العمل الأدبي، فيربط بينهما ويجرد منها أنماطا أساسية يحاول أن يكشف مغزاها، ويراها ككل يتطور، كوحدة لها منطقها الداخلي، ومعناها مثل صورة الريح في الملاح القديم (المسيري، 2006، صفحة 274).

فقراءته للوثرب جزاي الناقد الأدبي، الذي حاول أن يطور نظرية شاملة تستند إلى فكرة النمط الأولي، وهي الرمز المتكرر المغروسة في لا وعي الإنسان الجمعي، "فالريح رمز عودة الحياة والمطر رمز الخصوبة". إضافة لذلك، تأثر المسيري بالناقد الأمريكي "ماير أبر ماس" في كتابه "المرآة والمصباح"، وكذلك أعمال الناقد الأمريكي رونيه فيلكا ف. عقليته الجرمانية تبحث دائمًا على ما وراء التفاصيل الفكرية والنقدية (المسيري، 2006، صفحة 274).

فهذا الاهتمام بالموضوعات الأساسية الكامنة في الأعمال الأدبية، كان تمهيدا لتبني النموذج كأداة تحليلية، لأن الأدب العظيم عنده يرفض الاختزالية، لذا فهو يقدم صورة للنفس البشرية بحسبانها كيانا مركبًا. إلى أقصى حد، يستعصي على التفسيرات المادية السطحية والعالم، حسب الأديب، لا يمكن أن يسقط في صورة مجازية، وحدة ساذجة، فالصورة المجازية في الأدب تتعامل مع المحدود واللامحدود، ما يوحي إلى قدرة اللغة على التجاوز. كما اهتم المسيري بالكتابة للأطفال، وهنا يطرح السؤال نفسه: كيف يمكن، أو بالأحرى، ما الذي يدفع عقلا مثل عقل المسيري للكتابة للأطفال؟ وكيف نلمح نموذجه التوحيدي التكاملي في بنية القصة وأبعادها؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الآتي:

- التعريف بأن مصدر تكوين شخصية الطفل عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي لأنه جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية، ويلعب دور فعَال في بناء حياة الأطفال.
- تكمن أهمية الدراسة، الي معرفة ماهية العلاقة بين المشاهدة للقنوات الفضائية وبين الملاحظة والتجربة، والفكر الخيالي لدي الأطفال سوء أكان سلبي أو إيجابي.
- توضيح الفرق ما بين استخدام الطفل الأجهزة التكنولوجية والقصص والحكايات الشفوية والكتابية، ومدى تأثرها على مخزونها المعرفي لما تدفعه للقيام بأعمال مغايرة ومخالفة لديننا الحنيف.
- معرفة مدى تأثير الحوارات الفلسفية في تكوين شخصية الطفل.

- يُعد الطفل ثروة هائلة ومخزون كبير ينمو ويتطور مع الأيام فينبغي الاهتمام به وتلبية احتياجاتهم لبناء مستقبلهم.

أهداف الدراسة:

إن الأطفال في جميع المجتمعات بمعنى، كل مجتمع له عاداته وتقاليده الخاصة به، في جميع القيم التربوية والاجتماعية والدينية، فمن أهداف الدراسة:

1. تبيان أهم البرامج من قصص وصور كارتونية وحكايات لها الحظ الأوفر من التأثير في تكوين شخصية الطفل.
2. توضيح الاستشارات الفلسفية وكيفية معالجتها عند الطفل فكريًا وأخلاقيًا لتنمية الطفل صحيا ونفسيا وعقليا واجتماعيا وكذلك دينيا.
3. غرس المعالم التربوية ومدي إدراك تأثر الطفل بهذه القيم والمبادئ التربوية عن طريق سرد القصص والصور الكارتونية.
4. توضيح دور الأسرة في القيام بتوجيه الطفل نحو ما يسمعه ويشاهده ومدى تأثيرها على نفسيته.
5. معرفة مسارات المنهج الذي سار عليه عبد الوهاب المسيري في دراسته لأدب الطفل.

مشكلة الدراسة:

كان عبد الوهاب المسيري قصب السبق في دراسة أدب الطفل، إذ اعتمد على الجانب التطبيقي والملاحظة، في تأثر الطفل بالمحيط الاجتماعي والقدرة العالية على الاستجابة الذهنية، إذ تتبلور إشكالية الدراسة في طرح المشكلة الآتية:

كيف يمكن فهم أدب الطفل وتكوين هويته عند عبد الوهاب المسيري؟ وماهي تأثيرات القصص والصور الكارتونية على هوية الطفل وثقافته؟

وتنبثق عنه التساؤلات الفرعية الآتية: -

- ما مدي تفعيل مضامين القصة لتوجيه الطفل ومدى تثوير الرموز الثقافية وإعادة إحيائها عند الأطفال؟
- ما مقاصد الصور الكارتونية؟ وما أثرها على شخصية الطفل وهويته؟
- ما هوفن قصص الأطفال وكيفية عبور(الطفل) بين الواقع والخيال وتحديث النص الغائب؟
- معرفة الدواعي والأسباب إلى دراسة فلسفة الأطفال عند عبد الوهاب المسيري؟

مصطلحات الدراسة:

أدب الطفل: الأدب لون من الخبرات الفنية التي تتدخل في إيجاد حاسة التذوق الفني لدى الإنسان وهذه الحاسة تلعب دورًا في مساهمة بناء شخصية الطفل بحيث تجعله قادرًا على تكوين شخصيته من الناحية الجمالية والأدبية والفنية. (موسى و محمد، 2000، صفحة 26)

الفن: هو المعالجة البارعة الواعية بوسيط من أجل تحقيق هدفًا ما، فهي تتطلب مهارة ووعي وقدرة على التحكم في الوسيط من أجل تحقيق الهدف المعين (أبو دبسة، غيث، و الصمادي، 2009، صفحة 15).

الهوية: ليس هناك تعريفًا جامع مانع عن الهوية فتعددت التعريفات عن الهوية (هو هو) وأيضًا (الإناء) فهي ليس موضوعًا ثابتًا أو حقيقة واقعية فهي إمكانية حركية تتفاعل مع مبدأ الحرية وهي إحساس بالذات، وأيضًا هي حالة مثالية، وهي تتحول من الهوية إلى الاغتراب ما ينبغي أن يكون إلى ما هو كائن (حسنين، 2012، صفحة 21).

مقاصد الصور الكارتونية وأثرها على شخصية الطفل وهويته

حكايات هذا الزمان

صور المفكر عبد الوهاب المسيري، في صورة فاقة الإبداع، في كيف يكون الحوار والجدال مع الأطفال ((فأخذ الأطفال يتجادلون فيما بينهم)) الأطفال الثلاثة، ومنها تكمن البراءة الطفولية في أن يحتكمون الي الديك للوصول الى الحل، فالحل يكمن في القرعة فيما بينهم، ولم تفي بالرضاء والمصالحة والتسامح ولكن سرعان ما حاول الوصول الي حِلا وهو البدء بالأصغر ثم الأكبر في المصالحة. كان يعبر عنه بحكمة القول : ((اذ كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب)) والعلاج والتداوي الفلسفي كان بالحكاية والقصص الطريفة ((بل فليحك كل منا قصة ، فأنا أحب القصص)) من الممكن أن تبدوا بالأصغر سنًا فالأكبر، فالكبار أكبر عقلاً على حد تعبيريه وعليه ((فالوصف عند المفكر عبد الوهاب المسيري إلى القيم النبيلة

التي يتصف بها الأطفال بالفطرة، فجميع الحلول لم تكن متفق عليها جميعًا وبينما هم جالسون دخل الجمل وحكى الجمل قصته دون استئذان قصور خيالي وقصة تجذب وتشد الذهن إليها في التشويق ماذا بعد هذا الموقف. يبدو أن الظروف الذي عاش فيها عبد الوهاب المسيري ظروف اجتماعية، يتمثل في الترحال والانتقال هو وأسرته بين البلدان قد أثرت بشكل مباشر على تفكيره وعلى شعوره واحساسه بطفولة الأطفال عامة وأطفاله خاصة، وهذا ما درسناه عنه عندما دون قصة حياته المعيشة، ويصرح ذلك في تربية الطفل التربية والتنشئة الصالحة. إن المفكر عبد الوهاب المسيري يوضح لنا بأن الأسرة هي المجتمع المصغر داخل المجتمعات فيقول: ((إذا كانت الأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، فإن الأم هي اللبنة الأساسية في الأسرة (بما لا ينفي دور الرجل الأسري بالطبع)) ومن هناء ان تمركز العالم الحديث اهتماماته وتركيزه على قضايا الأنثى. تصبح الأمومة مهمة (وماذا يمكن أن يكون أكثر أهمية من تحويل الطفل الطبيعي إلى إنسان اجتماعي؟) وعليه يكمن دور المرأة في تربية الأطفال وتنشئتهم على أحسن حال. (المسيري، (الأسرة قبل الفرد ... التمركز حول الأنثى)).

تلعب الصورة والقصص دورًا مهمًا في حياة الطفل لما لها من تأثير إيجابي في تنشئة وتربية الأطفال في شتي المجالات المختلفة من الجانب النفسي والعقلي والاجتماعي، والفلسفي. وهو شعور واحساس باطني ينتج من منظور الصورة والتأمل فيها من جميع مستوياتها كمستوى الحركة مثلًا والصوت والقصة تعدو الأهم، لقد أصبحت الصورة الكارتونية خير جليس لأطفالنا اليوم، ولعبت دورًا فعالًا حتى أصبحت الإذاعة المرئية تثير اهتمام الطفل، فكان لها دورًا في توجيه الثقافة المرجعية، خاصة في مسار التنشئة للطفل. والصورة الكارتونية كغيرها من الصور (مجلة فتوحات، 2017). إن التطور المتسارع في عصر التقدم التكنولوجي في جميع المجالات الحياتية مما يتطلب استعمال أساليب وطرق متقدمة. فيجب العمل على تأهيل الأطفال في هذا الوقت الراهن ليكونوا مؤهلين وقادرين على مواكبة والتعامل مع متطلبات الحياة اليومية. فطبيعة التنشئة والتربية الاجتماعية لطفل هي من ترسم ملامح شخصية الطفل في المستقبل وهذا ما تقوم به الصور الكارتونية لتطوير عقلية ومدارك الطفل فتتفاوت تفاوتًا ملحوظًا من طفلاٍ الى اخرا. فيمتاز الطفل بحب الرغبة والفضول في معرفة الأشياء وعليه يكمن دور الصور الكرتونية في استيعاب القيم والمفاهيم الحياتية المعاصرة، وحتى لا يترسخ في ذهن الطفل. فتتكون عنده أنماط ثقافية وسلوكيات اجتماعية دخيلة على مجتمعاتنا العربية الإسلامية (المجلة الليبية للدراسات ، 2013، صفحة 303).

فالصورة تجزم بالمساهمة في تشكيل وعي الطفل وتوجيه. مما يجعلنا نرتكز على أهمية الصورة الكارتونية ومدي أهميتها أن الأفلام الكارتون ما هي إلا وسيلة تربوية ترفيهية فهي تعد وسيلة وحلقة وصل بين الطفل والرسالة المشفرة المحمولة إليه. وعليه ننوه إلى الوقت الذي يقضيه الطفل خلف استخدام الأجهزة والألعاب الإلكترونية أكثر مما يقضيه مع والديه.

إن الصور الكرتونية لها إيجابيات وسلبيات، بمعني أن لها سلاحًا ذا حدين تربوية وتعليمية يمكن إيجازها فيما يلي:

- تعليم الطفل اللغة في نطق الحروف ومفرداته وحسن ظهور مخارجها لكي ينطقها بطلاقة.
- حب الاطلاع عند الطفل والفضول من خلال القوة المتخيل لدى الطفل لتكوين المعارف الثقافية لديه لمواكبة العصر.
- تعزيز القيم الأخلاقية الحميدة لدي الطفل.

ننوه الى أن بعض من الصور الكارتونية دخيلة من الغرب وخاصة الأفلام الكارتونية (الأفلام التي تم استردادها من الغرب) (مجلة فتوحات، 2017).

إن الصورة الكارتونية، هي عملية نقل الطفل من أفكار موجودة لديه (فنجد فكرته ترتكز على دعامتي النقل والمشاركة، نقل الصورة وتكوينها عند أذهان الأطفال ومن ثم تتم المشاركة عند الطفل. إن التميز في الصورة الكارتونية تكون في شكل هيمنة وسيطرة وتسلّط وايضًا توجيه للجهاز العقلي والنفسي معا لهذا الطفل بمقصديه بخطط استراتيجية لها تشتغل ضمن فلسفة استراتيجية بأليات ذي منهجية، إن شدة تفاعل الطفل مع الصورة الكارتونية يجعل منه متلقيًا جيدًا لها، خاصة وأن القدرة الاستيعابية والتركيز الجيد لما يشاهد فهو " حصيلة ما يتلقاه الطفل من معلومات من بعد الفطام إلى سن البلوغ تفوق كل ما يتلقاه بعد ذلك من معرفة السنوات الباقية من عمره مهما امتد حتي عشرات السنين" والطفل هنا وهو

يتلقى الصور المتدفقة يكون في حالة كمون، ومن سلبيات الصور الكارتونية تعلق الطفل بهاء الى حد الإدمان هذا ما يجعل من الصورة هنا متلقيًا سلبيًا يقنع بالمشاهدة دون المشاركة، وهذا ما سينمي في الطفل العزلة وسوء التفاعل مع الغير في البيت أو في المدرسة مع المعلم، فيكون حاجزا في نموه المعرفي" ذلك لأن المعرفة الطبيعية هي أن يتحرك طالب المعرفة مستخدمًا حواسه كلها أوجلها ويختار ويبحث ويجرب ويتعلم " فيكسب الصورة بمعلومات جاهزة لدي الطفل يقتنع بالمشاهدة دون المشاركة. وهو ما ستكون له تأثيرات واضحة سواء كان على مستوى الأسرة خاصة أو على مستوى الوطن عامة. فيترتب عليه النتيجة السابقة (التلقي السلبي) فيتكون لدي الطفل اللاوعي الباطني بقيم وقناعات موضوع الصورة التي يشاهدها، وخاصة عندما تكون هذه الصورة منقولة من ثقافة الآخر (الغرب). فيقول: عبد الوهاب المسيري "إن قصص (توم وجيري) تبدو بريئة، ولكنها تحوي دائمًا صراعًا بين الذكاء والغباء، أما الخير الذي تمرره وتوضحه الصورة الكارتونية (مجلة فتوحات، 2017، صفحة 246). أعماله للأطفال: 8 قصص لعبد الوهاب المسيري.

1- فلسفة الأدب في فكر عبد الوهاب المسيري:

إن عالم الأدب عند المسيري هو عالم التخصص والمهنة إذ درس في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، ودرس في جامعة الملك سعود، وفي بعض الجامعات الأمريكية، حيث درس عدة تخصصات منها: الأدب الإنجليزي، شعر القرن الثامن عشر، وشعر القرن التاسع عشر (الرومنتيكي- الفيكتوري)، وكذلك شعر القرن العشرين، كما أنه درس النظرية النقدية من أرسطو إلى ما بعد الحداثة، بالإضافة إلى تخصصي فن القصة وفن الترجمة (المسيري، رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية، 2006، صفحة 646).

هذا ما جعل فتح للمسيري أفاقًا جديده علي تخصصات أخرى، وجد نفسه غارقا فيها، إن لم نقل أبعدته عن تخصصه الأصلي، أو حبه الأول حسب تعبيره حيث يقول "ظل حبي الأول والقديم للشعر والأدب والنقد دائما، فأكتب القصائد الشعرية من آونة لأخرى، ولأنشرها، ولا أطلع عليها إلا أقرب الأصدقاء، فهي قصائد خاصة للغاية، ذات طابع فلسفي متطرف، ولا أعتقد أنها من عيون الشعر العربي". (المسيري، رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية، 2006، صفحة 646) مما يجعلنا نستشف من قوله، أن الدراسات الأدبية أثرت كثيرا في تفكير المسيري، إذ بفضلها تعمق تفكيره وأتضح منهجه التحليلي وقراءته للنصوص، كما تعمقت رؤيته التفسيرية وفي هذا المجال بالضبط نجد أن أهم المفاهيم والمصطلحات التي اعتمد عليها المسيري في رؤيته النقدية والمعرفية، والتي كانت عاملًا مهمًا في اكتمال نموذجه التحليلي والتفسيري.

ومبرر ما سقناه، هو أن كتابات المسيري الأولى تندرج ضمن عالم الأدب والنقد، مثل دراسته عن جمال حمدان، وتوظيفه لمفهوم الصورة المجازية، وهنا اتصف نموذجه التحليلي واكتمل عن طريق فهم النص الخطاب بواسطة الصورة المجازية، وقد كتب عدة دراسات ومقالات، كالمقال الأول الذي يعتبر عن دراسة عن إبراهيم ناجي، تحدث فيه عن النقد بصفته عملية تفكيك وإعادة تركيب، ثم مقال آخر، الذي كان عرضًا لكتاب كتبه أحد النقاد عن إبراهيم ناجي، ثم قال الموسوم : " بين التراجيديا والإحساس بالحزن"، وهو دراسة في رواية نجيب محفوظ "بداية ونهاية" ومسرحية: "تنسي وليامز نزول أور فيوس"، كما أنه ترجم بعض النصوص الرومانتيكية الإنجليزية، وبعض من الدراسات والمقالات الأخرى التي قد تجمع البعض منها في كتب، ككتاب: "دراسة في الشعر"، وكتاب: "في الفكر والأدب". (المسيري، رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية، 2006، صفحة 649). أود أن ألفت نظر القارئ، بأنني سأشير إلى أن جدل هذه الدراسات الأدبية تنطلق جميعًا من إيمان المسيري بأن "ثمة فارقًا جوهريًا كيفيًا بين عالم الإنسان المركب، المحفوف بالأسرار، وعالم الطبيعة والأشياء والمادة (المسيري، 2006، صفحة 16).

والجدير بالذكر، أن المسيري لا يفرق بين الأدب واللغة، فهما مثلا متلازمين غير منفصلين، إذ يقول "دارس الأدب لا بد أن يكون دارس للأسلوب والخطاب والشكل اللغوي، فالأدب في نهاية الأمر هو تعبير لغوي مكثف، شكله اللغوي هو معناه، ولذا لا يمكن أن يكون معنى منفصل عن الكلمات، فالمعنى لا يمكن أن يوجد في بطن الشاعر..." (المسيري، 2006، صفحة 667). وبالفعل، فإنه يستحيل لدراس الأدب

خاصة، والمهتم بالفكر عامة ألا يهتم باللغة، فكل دراس الأدب، والفكر هو في الحقيقة دارس للغة ولا طريق للفكر والأدب إلا عن طريق اللغة، فاللغة منبع الفكر والتفكير، لذلك فالاهتمام بهما ضروري للمفكر والأديب معا.
إن الدراسات المسيري في الأدب، عمقت من حساسية اللغة كما أن اهتمامه بقضايا المصطلح وإدراك المفاهيم الكامنة وراءه جعلته يعتبر اللغة عامِلًا مهمًا في تطوير رؤيته، وتحديد نموذجه الإدراكي، وهذا ما جعله يشير إلى أن: "المشروع الإنساني بأسره يستند إلى اللغة كوسيلة للتواصل بين البشر، والاحتفاظ بثمرة تفاعلهم مع الطبيعة. حتى لا تبدأ كل تجربة مع الطبيعة والتواصل اللغوي يعني أن ثمة إنسانية مشتركة، وأن ثمة ثقة بأنه يمكن توصيل المعنى، وأن ثمة علاقة بين الذات والموضوع والفكر والواقع، والدال والمدلول" (المسيري، 2006). انطلاقًا من القول السالف، يتبين لنا أن اللغة ليست أداة للتواصل والتعبير عن الأغراض والاحتياجات بين البشر، بل هي أكثر من ذلك، إذ اللغة دورا أساسي في رؤية الإنسان للكون فاللغة تجعل العالم له معنى، وتجعل الإنسان يرى أن اللغة هي الأخرى تشكل نظامًا تحكمه قوانين ثابتة، لذلك يمكن التواصل من خلالها.
لذا فقد ساهمت اللغة في تطوير عقل المسيري، وتبلور فكره ونضجه حتى أصبح يؤمن بأن جميع مجالات النشاط الإنساني يربطها رابط؛ ألا وهو المجال اللغوي، ولذا فجعل المصطلحات عنده منبعها لغوي، فأول إدراك لهذه المصطلحات يبدأ من بعدها اللغوي، ثم يتطور حسب ظروف تواجده، والمجال الذي يتحرك فيه، وبهذا فإن المسيري يعتبر الدراسات الأدبية ما هي إلا تدريب على قراءة النصوص قراءة نقدية لتحديد ما هو هامشي عرضي في نص ما، وما هو مركزي جوهري، وبالتالي فهي مهارة أساسية مطلوبة وضرورية للتعامل مع كل النصوص والظواهر الأدبية والغير الأدبية، لأنه يؤمن بأن جل النصوص ماكرة مراوغة تحاول أن تخبئ أطروحتها الأساسية، ولذلك فكفاءة تحليل النصوص الأدبية قادرة على كشف كثير من الموضوعات الكامنة في النصوص والتصريحات الخاصة بفكر معين.
يوضح المسيري في كتابه "دراسات في الشعر" قضية انتقاله من عالم الأدب، إلى عالم الفكر أو العكس، أي إدراكه إلى أهمية الدراسات التي تتبع المنهج البيني، وعدم فصل فروع المعرفة بعضها عن بعض، فهو يؤمن بضرورة استخدام مناهج التحليل الأدبي والنفسي لتحليل النصوص السياسية والاجتماعية، يقول المسيري: "قررت أن اتبع منهج دراسة النصوص الأدبية وتصنيفها من خلال رصد وتحديد الموضوعات الأساسية الكامنة فيها، كما أنني قررت استخدام منهج يجمع بين الجمال والتاريخ والأخلاقي.....، أي أنني قررت أن أركز على النقطة التي تتقاطع فيها بنية العمل الأدبي مع اللحظة التاريخية مع منظومة القيم الأخلاقية، بحيث تصبح البنية الأدبية الجمالية ليست مجرد شكل متناسق جميل، وإنما تعبير عن بنية الخطة، وعن القيم الأخلاقية التي وردت فيها" (المسيري، 2006، صفحة 12). وبهذا نفهم بأن المسيري يستعمل منهجا تركيبيا يجمع بين عدة رؤى ونظارات، تختلف زاوية نظرها، لكنه يجمع بينها من خلال نقطة التقاطع والعلاقات الموجودة بينها، كما أنه يبحث في النص الواحد عن جميع اهتماماته الفكرية المتعددة، فيكشف عن بعده الفلسفي، وعن بعده السياسي، والأخلاقي والاجتماعي...إلخ.
وما يلاحظ على هذا الجانب النظري، والذي هو كغيره من الدراسات النظرية الأخرى، التي يبين فيها المسيري تفريقه بين ثنائية الإنسان والطبيعة، وأن الإنسان يوجد في الطبيعة، لكنه ليس جزء منها، لأنه قادر على تجاوزها، عكس ما كانت تؤمن به النظريات الفلسفية الأوروبية الكبرى، كالداروينية والماركسية مثلا، وهذا ما جعله يميز بين الرؤية المادية والرؤية الإنسانية (المسيري، 2006، صفحة 16) فـ: "التطور الحلولي المادي الواحدي للإنسان يختزله إلى عنصر واحد أو اثنين، بينما ترى الرؤية الإنسانية الكائن البشري، باعتباره ظاهرة مركبة تحتوي على عناصر وأبعاد عدة متداخلة، لا يمكن رصدها في كلتيها، وإنما يمكن رصد أو استكشاف بعض أبعادها وحسب" (المسيري، 2006، الصفحات 17-18)
ففهم النص عند المسيري لا يمكن أن يحصل إلا عن طريق معرفة كاملة لسياقه وإدراك شامل لذلك السياق، دون إهمال النص وأبعاده المتنافرة، وحدوده المختلفة، ورصد وقائعه المختلفة، أي أنه ينطلق من الدراسة الخارجية للنص، ثم يصل إلى الدراسة الداخلية له، وبهذا يكون قد كشف عن جميع أبعاده.
وبهذا فمنهج المسيري في تحليل النصوص ودراستها يتم عبر مرحلتين ما قبل الأدبية، ثم الأدبية، فالأولى يحددها عن طريق السياق الاجتماعي أو الفكري، أما الثانية فتقوم على أساسها تحديد مضمون النص

وشكله وبنيته، فالأولى دراسة كل لسياقه وظروف إنتاجه الخارجة عن بنية النص وحدوده، أما المرحلة الثانية فتقوم عن طريق القراءة النقدية الممتنعة داخل النص ولا تتجاوز حدوده، وهذه القراءة قريبة من نموذجه التفسيري المركب في استنطاق النصوص وقراءتها عن طريق إيجاد وتحليل الصورة المجازية لنص ما، وبهذا تعتبر هذه الدراسة الثانية دراسة للنص في حد ذاته، ولا تتجاوز حدوده، عكس الأولى التي هي خارج حدود هذا النص، أي نستطيع أن نصف الدراسة الأولى بأنه دراسة خارجية، عكس الثانية التي تعتبر دراسة داخلية، والمنهج بكامله مركب من هاتين الدراستين (المسيري، 2006، صفحة 21).

انطلاقا مما سبق بيانه، نلخص أن الدراسات الأدبية من منظور المسيري تنطلق من إيمانه بأن هناك فارق جوهري بين ثنائية الإنسان والطبيعة، ومن انفتاح المسيري على جميع النصوص، والتنقل بينها بحرية مطلقة، وعدم التقوقع في دائرة التخصص، كما أنها تطبق منهجه المعروف في قراءة النصوص ونقدها المتمثل في القراءة النقدية الممتنعة والكامنة من خلال النموذج التحليلي التفسيري المركب لا الاختزالي، أي النموذج التحليلي المركب من عدة مناهج، الشاملة للنص وظروف إنتاجه لا النموذج المختزل في منهج واحد يسلط على النص فقط.

2- أدب الطفل: فن قصص الأطفال.

يرى المسيري أن فن القصص للأطفال له قدرة على تغيير العالم (رؤوف، 2004، صفحة 31)، وقد وضع سبب توجهه لعالم الأطفال في الوصف التالي: "الذي دفعني للكتابة لأدب الطفل هو الهدية التي حباني الله بها، طفلاي نور وياسر، فقد كانت تنشئتهما مسألة موضوع اهتمامي، خاصة وأنهم قضوا جزءا كبيرا من طفولتهم في الولايات المتحدة، وبغرض ملأ الفراغ الذي خلفته في حياتهما جراء رفضي وخوفي من اقتصاديات السوق واللعب الأمريكية (لعبة باربي)، التي تدور في إطار الفضاء المادي الاستهلاكي، التي لا تعبر حتى عن الهوية الخصوصية الأمريكية وفي نهاية الأمر الإنسانية المركبة: فقد حاولت أت أخلق لطفلي حيزهما المستقل حتى يمكنهما التحرك والتنفس فيه، خارج عالم الألعاب الداروينية والاستهلاكية الأمريكية" (المسيري، 2006، الصفحات 678-679).

وبهذا ندرك أن الأمر الذي جعل المسيري يدخل عالم الأطفال، هو عشقه لعالم البراءة، حيث يرى أنه لكي يكون المرء مبدعا عليه أن يتحلى بقدر كبير من البراءة، إضافة إلى إدراكه ووعيه العميق بأن الأمة التي تدافع عن فكر حضاري مستقل، لابد أن تتزود هذه المعرفة القوية على كافة الأصعدة، لكي تتفادى الأزمات التي ينتجها النظام المادي الاختزالي.

وبهذا فالنموذج الذي يحاول المسيري تجذيره في بنية القصة، هو ذلك الذي يقدم فيه العالم مركبا، فيه الخير والشر، فيه النظام والفوضى، فعالم الأطفال هو جزء من عالمنا لا ينفصل عنه، والأطفال ليسوا ملائكة، ولا هم بشر كاملون، لذا يجب أن نعترف بإنسانيتهم الكاملة، فهذا الاعتراف تعبير عن احترامنا للأطفال، وإدراكنا أن الطفل كائن ذكي وقادر على إدراك كل الأمور إن تم نقلها له بأسلوب مناسب، حيث حاولت بعض القصص نقل الشر الكامن في النفس الإنسانية بطريقة طرفة حتى يظن العالم أنه بريء صافي، كما تؤكد بعض القصص فكرة الفوضى ووجودها في حياتنا، وأننا في بعض الحالات نخرق القانون لنعود إليه، وبهذا فطابع التحليل للقصة وفق الرؤية التوحيدية يجعل من الطفل ذاته يتحرك بين دائرتين، عالم الواقع الصلب والتفاصيل المادية من جهة، وعالم الخيال والجمال والتحليق من جهة ثانية (المسيري، 2006، صفحة 688).

انطلاقا مما سبق بيانه، أصدر المسيري بعض القصص فأدرجها ضمن لإطار سماه بـــ: "حكايات هذا الزمان"، وهذه القصص تعبر عن نفس الأفكار والرؤية التي تنطلق منها وتعبر عنها أعمال المسيري الأخرى، وعلى رأس كل ذلك موسوعة اليهودية والصهيونية، إذ وظف فكرة النماذج المعرفية والإدراكية، التي يعدها المسيري الأداة الأساسية في عملية الفهم والإدراك والتحليل والتفسير. يقرأ المسيري بأن هناك أنموذجا معرفيا كامننا وراء كل القصص التي كتبها، وهو نفس الأنموذج الذي اتبعه في كتابه الموسوعة أو الأعمال الأخرى "من رفض الموضوعية المادية المتلقية، النصوص البلهاء، والمعلوماتية الفجة والسببية الصلبة، إلى إيمان بالعقل التوليدي والسببية الفضفاضة والنماذج المفتوحة" (المسيري، 2006، صفحة 685)، وبهذا نفهم أن المسيري يريد أن يوجهنا إلى إدراك الحيز الإنساني المختلف عن الحيز

الطبيعي والمادي، الذي يتحرك فيه الإنسان ويحقق فيه إنسانيته، فيؤكد إرادته وحريته ومقدرته على الاختيار.

وبهذا يتعرف الأطفال حسب رؤية المسيري على العالم بطريقة جديدة ما يميز أنها حركية وفي ديناميكية متجددة، عكس ما اشتهرت به أغلب القصص الغربية والتي تجعل الأطفال في حالة كونية ثابتة مع العالم وبالتالي هذه الطريقة الحركية الجديدة تأهل الأطفال للتعامل مع العالم الحقيقي، لأنها أصلا تساهم في وجوده وأنها جزء منه غير منفصلة عنه، بل أكثر من ذلك إنها تستطيع أن تغير فيه أحيانا، فقد بين المسيري في مقدمة هذه الحكايات "إن الأساطير التقليدية مثل: ذات الرداء الأحمر، لايزال لها جمالها البدائي المبدئي الذي لا يظاهر، فهي تخاطب شيئا أساسيا داخلنا وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنها، بحجة أنها خيالية أو خرافية أو غير واقعية، ومع هذا يجد الطفل في العصر الحديث نفسه غير قادر على تحول عالم الأسطورة التقليدية بسهولة ويسر" (المسيري، 2006، صفحة 678).

انطلاقا من النقل السابق، ندرك جليا أن هذه الأساطير حسب تصور المسيري، هي نتاج عصور تاريخية لم يكن فيها الإنسان سيد بيئته، ولذا فنحن نجد أبطالها إما عناصر طبيعة (حيوانات طيور) أو عناصر بشرية خاضعة لسيطرة الطبيعة ما يفقدها كثيرا من أهميتها وفاعليتها في العصر الحديث (المسيري، 2006، صفحة 687). وكي نفهم ما سبق بيانه، نضرب عدة أمثال عن الأساطير التاريخية، وهي كالآتي:

أسطورة الفوضى ونهاية العالم:

تعتبر قصة الطوفان من أكثر القصص انتشارا، حتى عند الشعوب التي لم تعرف كتابا، ولم تختلط بشعوب تروي هذه القصة، فالروايات الشفوية تتحدث إما عن كارثة طبيعية (طوفان، زلزال) قضت على أغلب النوع البشري -نتيجة مخالفته للعود الأزلي- وإما عن قيامه نقضي على النوع البشري كله، وقد عرفت هذه الأسطورة "عودة غريبة بعد حربين عالميتين وتطور أسلحة الفتك والدمار، وعلى هذا يدعو الأيكولوجيون إلى عدم بمقتضيات التوازن البيئي، ذلك أن الإحلال بالتوازن الطبيعي يؤدي حتما إلى كارثة تقضي على الإنسانية.

أسطورة العصر الذهبي:

تحمل هذه الأسطورة أسماء مختلفة، لكنها تفيد كلها بأن الإنسان سيعيش عصرا "ذهبيا" تختفي منه الأمراض والمظالم ويتوفر فيه العدل والرخاء، ويأخذ الكل نصيبه من الخيرات الأرضية، ويعتبر مرسيا إلياد "مدينة الله" عند القديس أوغسطين، وشيوعه ماركس، مظاهر حديثة لهذه الأسطورة. (مصطفى، 2004، صفحة 109)

أسطورة التذكر والنسيان:

يؤكد الموضعيون ككل الماديين على أن العقل يولد صفحة بيضاء، وأنه يبقى خاليا من أي معرفة إلى أن يكتسب العلم من الواقع الخارجي الموضوعي، إذ تقف الوضعية بمقابل النظريات القائلة بأن المعرفة قائمة في النفس وأنه يكفي للمتعلم أن يتذكر لكي "تستيقظ" ذكرياته القديمة، وتذكرنا الأساطير المتعلقة بالتذكر والنسيان بنظرية سقراط حول التوليد، حين نسيت النفس منذ أن حلت بالجسد العالم السابق، كما تذكرنا بالجدل الصاعد عند أفلاطون، حيث تفرض العودة لعالم المثل حتى تحصل المعرفة الحقيقية لكن وجه الغرابة لا يكمن في التشابه بين الأساطير من ناحية والفلسفة السقراطية والأفلاطونية من ناحية أخرى، بل يكمن في التشابه بين الأسطورة وما دعا إليه فرويد. (مصطفى، 2004، صفحة 110)

وبهذا وعى المسيري بتلك الأساطير، انطلاقا من كتابه: "حكايات هذا الزمان" التي تدور أحداثها بشكل أسطوري، ولكن في العالم الحديث، وقد أكد في هذه القصص أهمية الإمتاع واللذة في القراءة، حتى ولو لم تكن له بالضرورة فائدة محسوسة ومباشرة، وبين أن القيمة الكبرى لهذه القصص تكمن في تشجيع الخيال، كما تحاول حكايات هذا الزمان أن تعلم القصة، وتتطور وتتشكل، وتبين لهم أنواع القصص المختلفة، فهي لا تكتفي بأن تعطيه قصة، أي ثمرة الفكر، وإنما تعلمه طريقة القص أي طريقة حكاية القصة التي تؤدي إلى الثمرة والطفل بهذه الطريقة يحقق قدرا كبيرا من الاستقلال عن القصص، والانفصال عنها وعن من يقصها عليه، كما يتعلم حرية الإدارة ويدرك أنه بإمكانه تغيير الواقع ليكون أجمل وأفضل (المسيري، 2006، صفحة 688).

أود أن ألفت نظر القارئ فأشير إلى أن هذه القصص تندرج ضمن مشروعه الفكري المعرفي الأكبر في رفض التحيزات أيا كان مصدرها، وتعمل على تأكيد الهوية العربية الإسلامية، ولذا فبطل قصص الأطفال التي يكتبها المسيري "جمل" وليسا "دبا" أو أي حيوان آخر مشهور في الدول الغربية، فقد وظف مفكرنا الجمل الظريف الذي يشترك معه في البطولة ولديه "نور وياسر" وحفيده "نديم" في بعض القصص الأخيرة، فهذا الأمر يجعل من الأطفال يتخيلون أنفسهم أنهم جزء من القصة، حتى وإن كانت خرافية، غير أنهم ينفصلون عنها أحيانا ولا يؤمنون بها، لأنهم يساهمون في عرضها، ويدركون أحداثها (حرفي، 2010، صفحة 214).

ويعتقد المسيري أنه يمكن لأي طفل أن يصبح بطلا في القصة الأمر الذي يفوض نمط البطولة التقليدية، ويجعل هذه القصص في حركية دائمة، ويقضي على الشخصية البطلة المهيمنة، وبالتالي يقضي على سكونية القصص الغربية، وكشف أبعاد التحيز لشخصية البطلة وللقصص الغربية معا، وتفويضهما، فالجمل ظريف حسب الكاتب يظن نفسه عضوا في الأسرة لكنه لا يدرك "جماليته" وهذا ما يجعل نور وياسر مثلا يتميزان عنه. يحاول المسيري إذا أن يطور فن القصة في قصص الأطفال التي يرويها ويجعلهم يدركون أن هناك قواعد للقص ويمكن اتباعها، ويمكن تغييرها، كما يمكن رفضها، ففي قصة: "الأميرة والشاعر" على سبيل المثال، هناك قصة داخل القصة التي يرويها الجمل والراوي، أما القصة الثانية فهي قصة الأميرة والشاعر نفسها، وتتداخل القصتان وتنفصلان في الوقت ذاته، تماما مثل علاقة الدال بالمدلول، وللقصة نهايتان: واحدة تقليدية وأخرى حديثة، كما يلجأ المسيري لمحاولة أن يجعل الأطفال داخل القصة الأولى يتحكمون في عملية القصة ذاتها. (المسيري، 2006، الصفحات 688-689)

إذا يرى المسيري أن بنية قصص الأطفال الي يكتبها مختلفة في بعض العناصر عن بنية القصص التقليدية، فهو يحاول مزج القديم بالجديد، وفي هذا يقول: "إنها محاولة لوضع الشخصيات القديمة في إطار العالم الحديث، ونحن بذلك نغير النص، فهو ليس نصا مقدسا، لا نتجاهله ولن نطوره وندخل عالم الأسطورة برموزنا فتصبح أقرب إلينا ونشعر بقدرتنا على التغيير، وتحاول القصص أن تقدم عالما من عالمنا" (حرفي، 2010، صفحة 216)، فسلسلة القصص التي كتبها المسيري بعنوان "حكايات هذا الزمان"، هي حكايات تستدعي الماضي، ولكن أحداثها تدور في هذا الزمان، أي في الحاضر، ويوضح لنا المسيري أنه يجب تفعيل الأسطورة التقليدية، إذ لا يمكن الاحتفاظ بها محتاطة، بل علينا أن نبث فيها الحياة حتى تصبح فعالة، وذلك بأن نربطها بعالم الطفل الحديث، وهذا ما نراه بالفعل في محتوى القصص التي يكتبها الميسري، فمثلا في قصة "سندريلا" نراه يوظف لنا أشياء حديثة مثل "سيارة الأجرة" والأخرى من العالم القديم "سياط الربح".

والمعنى الذي نستجليه من التحليل السالف هو أن المسيري يحاول أن يعلم الأطفال من خلال تأليفه للقصص، ضرورة إدراك أن العالم مركبا، فهو ليس بسيطا أو أحاديا، كما أنه على الأطفال أن يجتهدوا لكي يتعلموا معنى الإبداع، وبهذا الغرض يمكن للطفل أن يتحكم في عالم القصص، لأن بعض القصص تتغير نهايتها (حرفي، 2010، صفحة 216). والجدير بالملاحظة أن المسيري يهدف من خلال كتاباته أن يعلم الأطفال أن هناك أنواع من القصص، فهناك قصة واقعية، وقصة واقعية جدا، وقصة أسطورية، وقصة رمزية، فالأطفال بحسب تصور مفكرنا، في غاية الذكاء "فهم يدركون أن هناك نصين، نصا أصليا ونصا حديثا جدا وهذا يشجعه على الإبداع، ويبتكرون، ويملكون بذلك ناصية الكلام ويفكرون في علاقات جديدة ويضيفون ويحذفون شخصيات" (حرفي، 2010، صفحة 217). وبهذا فإن هذا الأسلوب الذي يتعلمه الطفل من القصص، يجعله يتمتع بحرية الإرادة ويشعره بقدرته على التخيل والمشاركة، فتقصير القصة عملية تفاعلية ممتعة، من حيث أنه يمكن للكبير متابعة خيال الطفل والتفاعل معه، وهذا ما نلاحظه بالفعل في طريقة مشاركة المسيري مع حفيده في الفهم الحكاية والتفاعل معه، حيث تقول "وعندما يسألني نديم عن نهاية القصة ما أقول: لا أعرف لماذا لا نحاول أن نجد لها نهاية معا، ثم إذا أتى بنهاية حزينة أقول له: لماذا لا نجعلها سعيدة بعض الشيء، أو فلنستكمل الحكايات لأن هناك دائما أملا في أن تتغير الظروف والأوضاع وتصل الأمور إلى نهاية سعيدة". (حرفي، 2010، صفحة 217) وهذه الطريقة نحرك فكر الطفل ونفعل خياله من أجل الإيداع والابداع والابتكار.

وهكذا قام المسيري بصياغة قصص واقعية خيالية، كلاسيكية ومعاصرة وآن واحد، والأهم أنها تربط الراوي بالطفل، كما دعا مفكرنا الآباء والمربيين انتقاء الشخصيات من التراث الأدبي أو القصص القرآنية من حيوان وطير والبدء في محاولة مماثلة، إذ سيجدون أنها أكثر إمتاعا من القصص القديمة أو ترك الأطفال أمام اللعب الإلكترونية، كما أن هذه الطريقة تجعل الطفل أكثر إبداعا، والأهم أن الآباء والأمهات سينشؤون قناة تواصل جديدة وممتعة مع الأطفال (حرفي، 2010، صفحة 218). وبهذا نفهم أن فن القصص يلجأ إلى عدة وسائل فنية لتوصيل هذه الأفكار، فعلى سبيل المثال تحاول بعض القصص "تحويل الواقع إلى مجرد مادة خام بوسع الطفل أن يعيد تشكيلها لينتج قصة من وحي خياله، مستمدة مادتها من الواقع" (حرفي، 2010، صفحة 220).

وهذا يعني أن القصص هنا هو تعبير عن الإرادة الإنسانية، وهو تعبير عن الواقع والخيال معا. يمكن تشجيع الطفل عن اكتشاف موهبة القص داخله بأن يعطي بداية قصة ويطلب منه إكمالها، وهذا يمكنه من الإبداع وإطلاق العفان من خياله من بنات أفكاره مستخدم عناصر من صميم الواقع ذاته، وفي هذا يقول المسيري: "التحكم في النهايات وتغييرها ومقاطعة القصة للاستفسار أو الاستعجال أو الاحتجاج، وإضافة شخصيات شبه إنسانية (مثل الجمل ظريف) وعناصر خيالية مثل (البساط السحري) هي دليل على مقدرة الإنسان على التحكم في مدار الأحداث وعلى تغيير الواقع". (حرفي، 2010، الصفحات 220-221)

وما يمكن استخلاصه من سيرة نموذج المسيري في فن قصص الأطفال هو:

- **العبور بين الواقع والخيال وتحديث النص الغائب:**

يستثمر المسيري العبور بين الخيال والواقع والذي هو طبيعة عند الأطفال حيث جعل عناصر الماضي المتخيلة جزء أصيلا من عالم الحاضر، حتى لا يشعر الأطفال بالغربة عند تعاملهم مع الأساطير، لأنهم يقفون على أرض الواقع في القصة الجديدة، ثم يدخلون إلى عالم الأسطورة الساحر، وعادة ما يبدأ المسيري الاستهلاك للحكاية المنطلق من الواقع، عند مشهد يكون متكررا، وهو ما يكشف عن الرغبة الجارفة لدى فيلسوفنا في شد المتلقي إلى الأرض، وتوكيد أهمية الوعي بنقطتي البدء والنهاية، وهو ما تم تأصيله في قواعد المنهج التوحيدي أي ما يسمى "التغريب السردي" ما يتطلب من الطفل ألا يستغرق في الخيال هاربا من الواقع. (سعيد، 2007، صفحة 612)، يقول المسيري: "مما لا شك فيه أن الأساطير التقليدية مثل ذات الرداء الأحمر لا يزال جمالها المبدئي، الذي لا يضاهي، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنها بحجة أنها خيالية أو خرافية أو غير واقعية، ومع هذا يجد الطفل نفسه في عصرنا الحديث، غير قادر على دخول عالم الأسطورة التقليدية بسهولة ويسر يحكم أنها نتاج عصور تاريخية لم يكن الإنسان فيها سيد يثبته، فأبطالها إما عناصر طبيعية (حيوانات، طيور) أو عناصر بشرية خاضعة لسيطرة الطبيعة مما يفقدها فاعليتها في العصر الحديث" (المسيري، 2006، صفحة 686).

هذا الأمر، لا يلغي مركزية الخيال، فالحكايات التي تنتمي إلى الماضي تمثل الخيال في انطلاقته، وتدفقه، والحوار التفويضي لهذه الحكايات غرضه، إخراج مكامن النص الشريرة التي تحمى بقوة الماضي، وقدرتها التدميرية، وثقتها في المعاني، القارة التي لا تهزم. ففي حكايات هذا الزمان، يقوم المسيري بتفكيك المقولات والأساطير مؤسسا لأساطير جديدة، وعلى الرغم من رغبة النص الحاضر، تقويض النص السابق، فإنه قد يدعو إلى استحضاره منجما، أو استدعاء لبعض لوازمه وعناصره، في إطار ما. يسمى "بتحديث النص الغائب"، وتوضيحا لذلك، ما نجده في قصة "نور والذئب الشهيرة بالمكار"، حيث تحضر الشخصية الذئب من حكاية ذات الرداء الأحمر، حضورا مستهدفا، حيث رأته نور جالسا تحت شجرته ويغني أغنية جديدة رديئة، ثم ما لبث عن استدعى حدثا مركزيا من القصة الغائبة، فالقصة هنا تحرص على إحداث نقلات زمنية تليق بوعي الطفل، وتحفظ للقص خصوصيته، فبعد أن تصل نور إلى بيت الجدة نجد القصة تعود بنا إلى الوراء، إذ يراجع الذئب تفاصيل القصة من اقتباس، طويل يقدم المسار الأساسي لإحداث القصة الغائبة، بمحاولة الذئب نقل أحد احدث ماضي القصة الغائبة إلى الحاضر، فيصطدم بالواقع الجديد بانهزام الذئب، وانتصار شخصيات حكايات هذا الزمان، تظهر تفاصيل النص الغائب مدعاة للسخرية؟ (سعيد، 2007، صفحة 657).

بمعنى أن هذه الاستراتيجية القصصية تهدف إلى إرساء المخالفة النوعية بين الحكايات كما يسميها المسيري في العصر والأوان، وحكايات الحاضر، الذي يعطي القدرة والتوتر الخاص بالقصة الكفيل بإيقاف المتلقي عند مشارب الالتذاذ النصي، كما يسميه بارت.

- **تصوير الرموز الثقافية وإعادة إحيائها:**

إن عودة الوجدان التراثي لهو من الأمور الصعبة، ولكن المسيري استطاع فك شفرة تلك العودة من خلال استعارة تي مطاط تربطه بالثقافة العربية ترتبط ارتباطا وثيقا، وتعكس نموذجها التوحيدي، مثل الديك والجمل خاصة، فهو حاضر بقوة في أعماله، يقول المسيري: "ظريف جمل غير مدرك لجماليته، هو جمل إنساني... إلخ لأولادي، ود. - هدى، هي أمه، أما أنا فصاحب هو جمل يمثل جمل المدينة المنورة الذي عرفته في طفولتي، والذي فر من الجزار الذي أراد ضبحه، فلجأ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلب منه الأمان، وأن يحميه من الجزار ففعل، أي أنه فرع من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان، لعدم إدراكه الفارق بينهما (المسيري، 2006، صفحة 680). هذا الحديث يعكس استقرار لتصورات الدينية في وجدانه، ومدى فعاليتها في ترسيخ النموذج التوحيدي لدى أطفالنا.

- **مناهضة الحوصلة وتمجيد الإنسان المتجاوز:**

مفاد هذا التحوير، أن القصة يجب أن تكون لها حبكة مركبة بعض الشيء، وتخرج من نمطيتها التي قتلت فاعلية الذهن والخيال على الإبداع، وتشجيع الخيال، فالإنسان الذي يعيش في عالم صلب يميت الوجدان والشعور، ويجعل الإنسان شخصية متزامنة رجعية تدور في إطار ما هو قائم وموجود بالفعل، بدلا من أن يحاول تجاوزه وتغييره وتبديله: "إنها حكايات هذا الزمان، تعلم الأطفال كيف تولد القصة، وتتطور وتتشكل..... فهي لا تكتفي بأن تعطيه قصة، أي ثمرة الفكر، وإنما طريقة القص، أي طريقة، حكاية القصة التي تؤدي إلى الثمرة .... فالقصة وفق هذا المنظور، تعبير على الإرادة الإنسانية، فالتحكم في النهايات وتغييرها، ومقاطعة القصة، للاستفسار أو الاستعجال أو الاحتجاج، وإضافة شخصيات شبه إنسانية (مثل جمل ظريف، أو البساط السحري)، هو دليل على مقدرة الإنسان في التحكم في مدار الأحداث وعلى تغيير الواقع (المسيري، 2006، صفحة 678).

ففي قصة "الأميرة والشاعر"، يتحدث المسيري بلسان ظريف، إذ يتم استحضار الأميرة المنتمية إلى الماضي، حيث تجد صعوبة في محادثة كائنات الكون (شمس، شجرة)، فلا يجد والدها مناصا إلا استحضار شاعر لينشدها قصيدة تخرجها من حزنها هذا، ومن منظار التصور الكلاسيكي للقصة أن تنتهي القصة بزواج الأميرة بالشاعر، لكن ظريف ينهيها بعودة الشاعر لمنزله، والأميرة للجامعة. هذه النهاية تستفز المخزون في تراث الحكايات لدى الأطفال، فيتمردون على النص ويطالبون بنهاية أخرى لأن. النموذج الراسخ في أذهانهم هو أن من يشفي الأميرة هو الذي يتزوجها، وبالتالي إن الأميرة لن تذهب للجامعة (سعيد، 2007، صفحة 615). هذا النموذج فيه روح ومناهضة لإرادة تطبيع الوجود الإنساني المتميز برحابته، وتأكيد لتراحميه فقدت في خضم الاختزال الممارس على الإنسان، وفي هذا يدعو المسيري من خلال سيرته "رحلتي الفكرية" إلى ضرورة انتقاء الآباء لشخصيات من التراث الأدبي أو القصص القرآني من حيوان وطير والبدء في محاولة المماثلة، لينشئوا ويوسعوا دائرة التواصل الجديدة والممتعة مع أولادهم.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، وبعد أن عرضنا أراء عبد الوهاب الميسري في موضوع أدب الطفل، وما يرتبط بهذه الدراسة من مفاهيم اخلاقية في زمن الحداثة وما بعد الحداثة في الدول الغربية، فتشير إلى مدى تطور العالم العربي المعاصر التكنولوجي وتأثر الأطفال فكريًا بالأجهزة الإلكترونية، فعرض مجموعة من القصص المكتوبة والشفوية الخيالية منها والغير خيالية ومدي الاستجابة على الأطفال عامة الجانب النظري والتطبيقي منها، ومن هنا يمكن استخلاص أهم النتائج التي توصلت إليها، فمن أهم النتائج:

- إن عبد الوهاب المسيري لا يفرق بين الأدب واللغة فيقول: أنهما توامان، والسبب الذي دفعه للكتابة في أدب الطفل هو الحب الرباني لطفلي نور وياسر. فتنشئتهما (أطفال عبد الوهاب المسيري) مسألة في غاية الأهمية، لأنهما قضوا جزءا كبيرا من طفولتهما في الولايات المتحدة، عاداتهم وأخلاقهم مغايرة تمامًا. عن الهوية الخصوصية العربية الدينية.

- المسيري يدخل عالم الطفل، لعشقه لعالم البراءة، حيث يرى أنه لكي يكون المرء مبدعا عليه أن يتحلى بقدر كبير من البراءة، إضافة إلى جانب الأدراك والوعي العميق بأن الأمة التي تدافع عن فكر حضاري مستقل، لابد أن تتفادى الأزمات التي تحاول الغرب بثها بين الأطفال.
- استثمر المسيري القصص بالعبور بين الخيال والواقع، وذلك لطبيعة وجوده عند الأطفال، حيث جعل عناصر الماضي المتخيلة جزء أصيلا من عالم الحاضر وبناء المستقبل، حتى لا يشعر الطفل بغربة هويته وغربة تراثه العربي عند تعاملهم مع الأساطير، لأنهم يقفون على أرض الواقع في القصة الجديدة.
- بدأ المفكر المسيري استهلاك أدب الطفل من منطلق الواقع لغرس الروح الإيجابية المستقبلية، وهذا يكشف عن توكيد أهمية الوعي بنقطتي البدء والنهاية من المواعظ والنصائح.
- إن عبد الوهاب المسيري فلسفته في الحياة لها نظام استراتيجي طفولي مدروس، في كيفية التعامل مع العالم الخارجي في أي زمان ومكان. اذ كان فكره وأدبه معرفي واقعي تطبيقي في زمن الحداثة.
- الاهتمام بالأطفال عند المفكر عبد الوهاب المسيري في كتاباتهم في مجموعة من القصص لتوضيح وترسيخ أذهان الأطفال من خلال كيفية التعامل والتفاعل مع العالم الخارج.

يؤثر فن أدب الأطفال في هويتهم بشكل ملحوظ على تفكيرهم وعلى ذكائهم ويجعلهم يتذكرون كل ما يحتاجون إليه من المواقف من خلال الاستماع عند سردهم للحكايات والقصص والأحداث ومدى التأثير والتأثر واسترجاعها الصور كمواعظ متى تطلب منه ذلك.

المراجع:

1.الغنودي، نوري احمد. (2013)، نمو مستو الذكاء لدى الاطفال من عمر 9- 10 سنوات، المجلة الليبية للدراسات، ليبيا. ص 301 - 324.

2.خميس، ناديا. (2017)، الصور الكارتونية وأثرها على هوية الطفل وثقافته قراءة في المرجعيات وأنساقها المضمرة، مجلة فتوحات. الجزائر ص241 - 253.

3.النيفر، مصطفى. (2004). الشرق والغرب حين يلتقيان (المجلد الطبعة الأولى). بيروت: دار الهادي.

4.الوكيل، سعيد. (2007). التداخل النصي في قصص الأطفال عند الوهاب المسيري، في عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده. دمشق: دار الفكر.

5.حسنين، حسن حنفي. (2012). الهوية. القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

6.حرفي، سوزان. (2010). الثقافة والمنهج حوار مع عبد الوهاب المسيري. دمشق: دار الفكر: آفاق معرفية متجددة.

7.موسى، عبد المعطي نمر، الفيصل، محمد عبد الرحيم. (2000). أدب الأطفال. اربد، الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع.

8.المسيري، عبد الوهاب. (بلا تاريخ). (الأسرة قبل الفرد ... التمركز حول الأنثى). إسلام أون لاين، 4.

9.المسيري، عبد الوهاب. (2006). اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود (المجلد الطبعة الثانية). القاهرة: دار الشروق.

10.المسيري، عبد الوهاب. (2006). دراسات في الشعر (المجلد الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

11.المسيري، عبد الوهاب. (2006). رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية (المجلد الطبعة الثاتية). القاهرة: دار الشروق.

12.عزت، هبة رؤوف. (2004). العقل العربي عندما يكون موسوعيا وإنسانيا: المسيري مفكرا ساملا، ضمن كتاب: عالم عبد الوهاب المسيري (حوار نقدي حضاري) (المجلد الجزء الأول). (تحرير أحمد عبد الحليم عطية، المترجمون) القاهرة: دار الشروق.

13.أبو دبسة، فداء حسين، وغيث، خلود بدر، والصمادي، محمد علي. (2009). فلسفة علم الجمال عبر العصور. عمان: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.